فـــلسـفـة التصميم الجرافيكي

● د. بشار مارديني

التصميم الجرافيكي مشكلة تتعلق بالسطح المستوي (ثنائي الأبعاد)، فالمصمم يفهم الخطط ثم ينجز تصميمها .

وهنا لابد أن يكون للتصميم وظيفة وهدف، فهو وسيلة اتصال بين طرفين هما المرسل والمستقبل، والخطة التي يتم إنجازها تصبح رسالة محددة إلى جمهور محدد ضمن حدود معينة، مالية، فيزيائية، نفسية .

فلنأخذ مثلاً تصميم الملصق الذي يمكن أن يقتصر على استخدام لونين أو يتم تحديده بلونين فقط، وذلك لأسباب مالية، وربما من ناحية فيزيائية يأتي تحديد القياس بما يتلاءم وأسلوب الطباعة الذي سيتم اعتماده والأجهزة الطباعية ومرفقاتها ، أو لسبب طرائق الإرسال أو العرض باعتبار أنها متنوعة وكل منها له خصوصية تتوافق مع الطريقة المتبعة في عملية الإرسال والتلقي .

ويمكن أن يتم تحديده نفسياً بالنموذج أو المعيار حسب المسافة الواقعة بين الملصق والناظر إليه (التصميم والمتلقي) وحسب موقعه سواء أكان ذلك في قاعة أو فناء أو في قاعة تحتوي على منافذ للضوء تختلف في كمية إشراقها .

إن الحالة النفسية للتلقي ترتبط بالفضاء الذي سيحتوي ذلك التصميم سواء أكان فضاءً عاماً خارجياً أو داخلياً أو فضاءً خاصاً ضمنياً، ويرتبط ذلك بالبعد أو القرب فيما يتعلق بالمشاهد، أي اختلاف المسافة، ويكون لاختلاف الزمن أثره أيضاً في تلك الحالة لما يصاحبها من متغيرات. كما أن الفئة العمرية من الناس والتي سيتم توجيه الملصق إليهم تؤثر في تحديد الملصق أو التصميم بما يتضمنه من مؤثرات لونية أو ثقافية أو رموز ... خاصة أن المجتمع يحتوي على مجموعات مختلفة من الشرائح العمرية والثقافية .

ومع ذلك فإنه يجب على المصمم قول شيء محدد إلى جمهور محدد حول منتج معين أو مجموعة من المعلومات المعينة .

فالاتصال عامل حيوي في التصميم الجرافيكي، وهذا العامل ذاته هو الذي يجعل التصميم موضوعاً معاصراً .

وينبغي على المصممين أن يواكبوا تطورات العصر والتكنولوجيا واستحداثات العلوم والفنون لأنه يطلب إليهم تقديم معلومات إلى الدولة الحديثة بأدوات معاصرة، لذا يجب أن يكونوا ملمين دائماً بالتيارات الفكرية والمواضيع والاختراعات والتطورات في حقل تخصصهم وفي باقي الحقول المتنوعة .

كما يجب أن تكون تصاميمهم الجديدة فيها قدراً من الاستحداث، وإلا فإنها ستكون تقليدية لا تؤدي غرضها لأنها مألوفة ومتكررة لدى من سيتلقاها .

دائماً وأبداً يجب ألا يغيب عن ذهن المصمم أهمية إثارة الانتباه أو ما يسمى بعملية الشد البصري من خلال استخدامه لعناصر وأسس التصميم، وقد يتحقق الشد البصري بعنصر اللون مثلاً كاستخدام لون ما (ساخن) بجوار آخر (بارد) أو استخدام التباين بالدرجة اللونية أو اختلاف الملامس أو قياس الأشكال أو أحجامها؛ وذلك أثناء التنفيذ، وربما يكون الشد البصري لأكثر من عنصرين وهذا يعود إلى المصمم ذاته واستخدامه لتقنية التصميم التنفيذية التي تخدم فكرته .

من خلال ما سبق لابد لنا أن نتساءل عن تأثير التصميم بالحاسوب، أو بعبارة أخرى ما هي المساعدات التي يمكن أن يقدمها الحاسوب للمصمم ؟ وكيف يمكن للمصمم أن يخضع الحاسوب لخدمة فكرته من أجل تطويرها واستحداثها وإغنائها بالتقنيات والمؤثرات الحديثة؟ وكيف تكون التشابهات في الأفلام

> ”وينبغي على المصممين أن يواكبوا تطورات العصر والتكنولوجيا واستحداثات العلوم والفنون لأنه يطلب إليهم تقديم معلومات إلى الدولة الحديثة بأدوات معاصرة، لذا يجب أن يكونوا ملمين دائماً بالتيارات الفكرية والمواضيع والاختراعات والتطورات في حقل تخصصهم وفي باقي الحقول المتنوعة“

جامعة فيلادلفيا

والتلفزيون متكاملة مع الكمبيوتر ؟..وهل سيقود الكومبيوتر التصميم أو المصمم مباشرة إلى الاتجاه الصحيح؟ وهل ستصبح تقنيات الطباعة المعمول بها حالياً طرازاً قديماً يقل عليه الطلب تدريجياً إلى الزوال ؟ وماذا عن الطباعة الرقمية ومستقبلها؟ وما الذي سيحل بعد ذلك من استحداثات ومتغيرات للتصميم والمصمم ؟ ..

جميع ما سبق الحديث عنه يخضع أولاً وأخيراً لمهارة المصمم الجرافيكي ومدى إجادته لاستخدام الوسائل والخامات والتقنيات بما يتوافق مع فكرته التي سيظهرها تنفيذياً بتقنية معينة يختارها لتخدم وتقوي من عمله الفني الخلاق .

ومما لاشك فيه أن التنظيم الشكلي في فضاء العمل التصميمي يكون بغاية الأهمية لأنه يأتي ضمن خطة بنائية وإنشائية متفاعلة مع الحيز الذي يشغله ليؤدي تعبيره الذي تختلف طاقته بناءً على المتغيرات الشكلية، والمتعيرات اللونية التي تخضع لضوابط النظام التصميمي عامة والتي تكون مرتبطة بالفكرة والموضوع .

وهنا يكون للعلاقات التصميمية أثرها الفاعل في رفد العمل بالطاقة الكاملة والمساعدة ضمن التبادليات المتنوعة بنائياً وإنشائياً وبيئياً ويكون ذلك التبادل ما بين الأبعاد الثنائية والثلاثية وقد تشترك أبعاد مضافة إلى ذلك إذا اقتضت الحاجة.

التصميم هو أساساً فكرة انبثقت من الواقع بناءً على حاجة ودافعية وانفعال حيث تستقر تلك الفكرة في الذهن وتكون في مرحلة التكوين الذي يرتبط هو الآخر بالمصمم ومدى قدرته على التخيل والاستحداث للولوج إلى الثبات والاستقرار بعد إنجاز الفكرة ذهنياً بغية تحويلها إلى السطح المختار الذي سيصبح بيئة التصميم الجديدة والذي سيصبح الحاوي لعملية التعبير ومن المؤكد أن التعبير سيكون بشكل أو مجموعة من الأشكال بعلاقات مكانية وفضائية ولن تكون الأشكال متعلقة بفضاء الورقة بل ببعضهما البعض في الفضاء لتكون الحصيلة النهائية للوحدة التصميمية هي الإيحاء بالفضاءات المتنوعة التي نتجت عن المتغيرات في العلاقات الشسكلية مما أدى إلى الإيهام للمتلقي بالإحساس في العمق أو البعد الثالث .

إن الأشكال والفضاءات تتغير تبعاً لتغيير الحركة أو اختيار الزاوية التي ننظر منها أو تبعاً للمتغيرات الضوئية ومساقطها أو نوعها سواء أكانت طبيعية أم صناعية، حتى أن قربها أو بعدها عن الأشكال وفضاءاتها يؤثر في استلام الرؤية والمظهر العام وصيغة تكوين الأشكال وقيمها اللونية، وليست الأشكال وحدها هي التي تتكون أو يتم إنجازها ولكن الفضاءات أيضاً ومن كل نقطة نظر.

وهنا لا بد من ذكر ما يخص المظهر العام للفضاء (فضاء العمل التصميمي) أو الأصح أن نقول الإيحاء بالفضاء المصمم الذي سيتكون بعد احتوائه للأشكال المعبرة التي ستتشكل في مكان ما من المساحة المشغولة والتي سيقررها المصمم وسيقرر حجم الأشكال واتجاهاتها ولونها وملمسها وتكوينها وتنوعها كل ذلك يؤدي إلى تشكيل التصميم بعلاقاته مما يؤدي حتماً إلى تشكيل الفضاء أي أن الفضاء يتشكل بناءً على ما يحتويه وبعبارة أخرى أقول تصميم الفضاء .

منذ القدم ظهرت محاولات عديدة للتعرف على الفضاء من خلال ما قبل الفلسفة، ومن ثم جاء الفلاسفة وأبدوا أرائهم وتعاريفهم الفلسفية عن الفضاء أو ما يسميه أغلبهم (المكان) وقد تطورت فكرة المكان وموقف الإنسان منها مع تطور الفكر البشري في تعامله مع العالم الخارجي أي أن الفكر مر بسلسلة من التطورات حتى تم التوصل إلى النظرة السائدة في العلم والفلسفة (ألا وهي النظرية النسبية التي وحدت بين الزمان والمكان وعدت الزمن بعداً رابعاً لأبعاد المكان الثلاثة ، والذي يعرف بمصطلح الزمكان) (نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ص 18)

> **" إن الفنان الذي يوشك أن يعمل أول إشارة على لوحة بيضاء فارغة أو قطعة ورق ، لديه عدة قرارات حتى يتخذها ، هذه تتضمن ليس فقط شكل العلاقة أو البداية أو حجمها أو ربما لونها ، ولكن كذلك أين ستكون أول علامة على اللوحة أو الورقة ... "**

وفلسفياً فإن مصطلح الفضاء يعني :(ما يحل فيه الشئ أو ما يحوي ذلك الشئ ويميزه ويحده ويفصله عن باقي الأشياء).

وأول استعمال اصطلاحي للفضاء صرح به أفلاطون حيث عده حاوياً وقابلاً للشئ .

أما ديكارت فيقول فيرى أنه الممتد في الأبعاد الثلاثة .

ويعبر آخرون عنه بقولهم : (إذا زاد الجسم أو نقص أو تحرك فلا بد أن يكون ذلك في شئ أكبر من الجسم ويحوي الجسم ونحن نسمي ما يحوي الجسم مكاناً، والمكان عند الكندي ثابت لايفسر ولا يرتفع من الوجود إذا غادره الجسم المتمكن فيه) .

أما التفسير الرياضي للمكان فهو الصورة المجردة في العقل وليس المكان الواقعي أو الطبيعي .. أي من خلال دراسة الأشكال والسطوح والخطوط والنقاط عن طريق تجريد هذه المفاهيم عقلياً.

وقد أشار أقليدس إلى أن المكان هو الممتد في الأبعاد الثلاثة ومن خلال ذلك نستطيع أن نقول أن الفضاء هو الواسع والممتد من كل الجهات إلى كل الإتجاهات والحاوي للأشياء، الذي بدونه لا شئ .

إلا أن فلسفته في الفن والتصميم بالذات تختلف نوعاً ما، فنحن نصمم الفضاءات أو نضع تصاميمها لنغير من الفضاء الموجود ضمن اطار العمل الفني ومن الممكن أن يكون الفضاء مفتوحاً أو ممتداً الى ما لانهاية وأحياناً يمكن تجزئته أو إغلاقه، وذلك في التصميم الثنائي الأبعاد والذي من الممكن ألا يكون حاوياً للفضاء أحياناً وحسب التصميم

وبناءً على ما يقتضيه من خصوصية، وأيضاً في أعمال النصميم الثلاثي الأبعاد (النحت والعمارة) والذي لابد له أن يحتوي على الفضاءات المتنوعة العامة والمتضمنة والداخلية والخارجية ..

إن الفنان الذي يوشك أن يعمل أول إشارة على لوحة بيضاء فارغة أو قطعة ورق ، لديه عدة قرارات حتى يتخذها ، هذه تتضمن ليس فقط شكل العلاقة أو البداية أو حجمها أو ربما لونها ، ولكن كذلك أين ستكون أول علامة على اللوحة أو الورقة ... ممكن أن تكون متمركزة في الوسط أو على أحد الجوانب أو أسفل الحقل الأبيض

فلنفترض أن لديك ورقة رباعية الأضلاع لكنها تحتوي على شكل غير منتظم وهو لا يشبه أي تشكيل طبيعي فنستطيع أن نرى أن الفنان قام بتكوين علاقة فضائية أو مكانية بين الشكل والورقة ، فالشكل يرتبط بالفضاء بكل اتجاهاته والحقل الرباعي نفسه.

هذه الفكرة تبدو أساسية جداً ولكن عند محاولة أحد ما بتحديد شكل ما على قطعة من الورق الأبيض فسوف يعرف أنه ليس من السهل أن يجد الحل الأفضل، إذاً فالفنان سيقدم شكلاً آخراً غير موضوعياً (للموضوع) فالعلاقات المكانية والفضائية تصبح أكثر تعقيداً.

> **"إن التصميم الجرافيكي من الأهمية التي يجب عدم إغفالها لما يؤديه من دور كبير في مجال الترويج والإعلان فضلاً عن الجوانب الفنية العديدة ذات الوظيفة والجمالية فهو فناً يدخل كافة مجالات الحياة ويغنيها خاصة عندما تتوفر المهارة العالية لدى المصمم ليؤدي بوساطتها طاقاته الإبداعية المعبرة"**

وهناك أيضاً مايسمى بالإدراك الحسي للفضاء وهو يفسر بفن ايجاد وهماً فضائياً على سطح مستو وهذا الأمر طريقة لخداع الناظر واستغفاله، حيث يمكن للناظر وحسب مهارة وتقنية الفنان أن يرى أشياء غير موجودة مثل الفضاء العميق ويطلق عليها خداع العين أو الخداع البصري حيث تتم التراكيب بذكاء مبالغ فيه وتظهر تفاصيل كثيرة في مساحة العمل وبالرغم من أنها سطحاً مستوياً إلا أنها تجعلنا نشعر أننا نسير خلالها ونغوص أحياناً إلى داخلها وبذلك يكون إدراكنا للفضاء قد دمر.

وممكن للفنان أن يوهم المتلقي أيضاً بعدم تمكنه وتأكده وبعدم يقينه من الذي يراه كما هو موجود في لوحة لرسم كأسين والتي في الوقت ذاته هي وجهين متقابلين، إذ نشأت علاقة مابين الشكل والأرضية وهي متبادلة في بين كلاهما حيث يمكن أن تكون الأرضية التي أصبحت توحي بالفضاء شكلاً ذا معنى ودلالة بينما في الوقت ذاته فإن الشكل الأساسي ألا وهو الوجه يدل على معناه الحقيقي .

إن فنان منتصف القرن العشرين أوجد إدراك حسي للفضاء من نوع آخر حيث كون خطوطاً وأشكالاً تعطي إحساساً بالقباب أي استخدام حركة فعلية بالفضاء عن طريق الخداع البصري الذي تم اعتباره إحساساً صافياً يتغلق بتفاعل نظري للعين البشرية مع الضوء واللون .

إن مفهوم الفضاء في التصميم وتصميم الفضاء موضوعاً كبيراً وواسعاً ومتشعباً وهو بكل أحواله يرتبط مع عناصر التصميم كونه يتداخل معها جميعاً ويشترك في تكوينها سواءً أكان ذلك في البعدين أم في الأبعاد الثلاثة

وعندما نتكلم عن الفضاء يجب التأكيد على أهمية الزمن وارتباطه مع الفضاء من خلال الاختلافات والتراكيب التي يحتويها التصميم لخلق فضاءات عديدة ومتنوعة حيث يختلف الزمن تبعاً للحركة وزاوية النظر والفضاء التصميمي الموجود .

إن التصميم الجرافيكي من الأهمية التي يجب عدم إغفالها لما يؤديه من دور كبير في مجال الترويج والإعلان فضلاً عن الجوانب الفنية العديدة ذات الوظيفة والجمالية فهو فناً يدخل كافة مجالات الحياة ويغنيها خاصة عندما تتوفر المهارة العالية لدى المصمم ليؤدي بوساطتها طاقاته الإبداعية المعبرة.

دائماً وأبداً يجب أن نضع بعين الاعتبار فلسفة لكل شيء، فلا وجود لشكل إلا وفلسفة وجوده موجودة تفسر وتبرر غايته وماهيته وعلله وسببيته والوظيفة التي سوف يؤديها ، كما إن اللون الذي سيتمثل به ذلك الشكل حتماً سيتبع لإحدى الفصائل اللونية التي

تصف حالة الشكل ومظهره وقيمته اللونية ومقدار تشبعه ةنصوعه اعتماداً على الضوء ونوعه ومسقطه وبالطبع عندما يكون كلامنا عن السطح فان الضور يكون افتراضياً ، وكما للون من دور فاللمس لا بد أن يكون موجوداً ليتم من خلاله ابراز خصوصية مظهر السطح لذلك الشكل ناهيك عن القياس (الحجم) والاتجاه والحركة والنسبة والتناسب والتوازن أو عدمه والوحدة والتنوع .....كل ما تم ذكره مجتمعاً ضمن فلسفة واحدة هي فلسفة التصميم التي من خلالها يكون التعبير والرمز والدلالة مضاف الى ذلك ومرتبط معه النواحي الجمالية والتذوق الفني للعمل وللمتلقي الذي سيرى ويستلم الرسالة ويتفهمها بفلسفته هو وهذه الفلسفة لابد وأن لها ارتباطات بمجتمعه وبيئته التي يعيش بها وثقافته لذلك سيكون مقدار استلامه مرهوناً بمقدار ما يمتلك من ادراك وهنا لابد من التطرق بالحديث الى وجود أنواع من التعبير عن الموضوع كأن يكون مباشراً أو غير مباشر أو أن يكون متراكباً مثلاً يتم استلامه بين آونة وأخرى بمعنى آخر حسب المتغيرات المكانية والنفسية للمتلقي .لذا لا بد للمصمم عند عمل أي تصميم أن يقوم بدراسة سيكيولوجية حول من سيخاطبهم وحول البيئة التي سيتعامل معها ليكون بذلك وضع أولى خطواته بشكل حسن .

> **"اننا عندما نتحدث عن التصميم نقول الأفضل أن يكون لأنه كلما كان بعد أن لم يكن، فليس هو إلا تشكيلاً على غرار تصميم فالتصميم يسبق التشكيل لأنه يتشكل أولاً فكرة ذهنية تتحول بالتدريج الى السطح متكونة خطوة بعد خطوة بناءً على التصميم المسبق المرتبط بالموضوع"**

اننا عندما نتحدث عن التصميم نقول الأفضل أن يكون لأنه كلما كان بعد أن لم يكن، فليس هو إلا تشكيلاً على غرار تصميم فالتصميم يسبق التشكيل لأنه يتشكل أولاً فكرة ذهنية تتحول بالتدريج الى السطح متكونة خطوة بعد خطوة بناءً على التصميم المسبق المرتبط بالموضوع وهكذا فلسفة الفكرة ومقدار ما تستغرقه من زمن حتى تنضج وتختمر وتطلق شرارتها الثابتة دون تحول حيث تلحقها عملية التنفيذ بالتقنية المناسبة ليكون الكل معاً يؤديان عملاً فنياً متكاملاً مبدعاً .

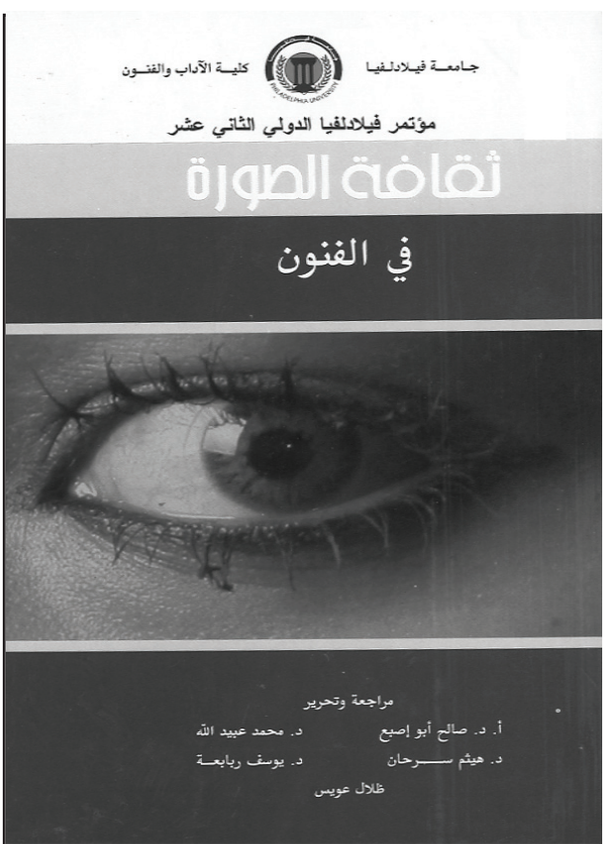

كتاب ثقافة الصورة
من اصدرات جامعة فيلادلفيا